

اقليم ديالى في العصور القديمة

أ.د.تحسين حميد مجيد

كلية التربية الاصمعي / جامعة ديالى

مقدمة :

كنا قد نشرنا سلسلة من البحوث عن علماء ديالى في العصر العباسي في مجلة ديالى ، وكانت كالاتي :

١. القسم الاول علماء بعقوبة عدد : ٢ سنة ١٩٩٧.
٢. القسم الثاني علماء البندنيجين عدد : ١١ سنة ٢٠٠١.
٣. القسم الثالث علماء شهربان - باجسرا - بهرز عدد : ١٢ سنة ٢٠٠٢.
٤. القسم الرابع علماء الخالص - الدسكرة - باصيда - باقبة - اسكاف. عدد ١٤ سنة ٢٠٠٢
٥. القسم الخامس علماء مدينة النهروان وقرية الختل عدد : ١٩ سنة ٢٠٠٥.
٦. القسم السادس علماء عكبرا عدد ٢١ سنة ٢٠٠٦.
٧. القسم السابع علماء المدائن عدد ٢٣ سنة ٢٠٠٦.
٨. القسم الثامن ديالى والنهروان عبر التاريخ عدد ٢٥ سنة ٢٠٠٦.
٩. القسم التاسع علماء حلوان عدد ٢٨ سنة ٢٠٠٨.
١٠. القسم العاشر علماء دير قنى عدد ٣٣ سنة ٢٠٠٨.

وقد وجدت - بعد نشري لهذه البحوث - ان من المفيد تقديم صورة مختصرة عن حضارة اقليم ديالى في العصور القديمة ، خصوصاً وان هذا الأقاليم يعتبر اول استيطان سامي في العراق ويتميز بخصائص تختلف عن حضارة السومريين الذين سبقوهم ، فكان القسم الحادي عشر والذي يفترض ان يكون القسم الاول انسجاماً مع التسلسل التاريخي .

ومن الجدير ذكره بهذا الصدد إنني سأنشر أقساماً أخرى عن علماء ديالى ستظهر تباعاً في مجلة ديالى أن شاء الله .

الادوار الحضارية

١. دور العبيد (٤٠٠٠ قبل الميلاد) :

ان مكتشفات الاستطلاع الاثاري السطحي المكثف الذي جرى في اقليم ديالى ابتداءً من سنة ١٩٣٧ وانهاءً في سنة ١٩٥٧/١٩٥٨ تكون المرجع الرئيس لمعرفة بداية اول استثمار زراعي شهده اقليم ديالى في الالف الرابع قبل الميلاد^(١) ان الاستثمار البشري لاقليم ديالى لا يستأثر باهتمام الدارسين الا في دور العبيد ، وهو دور يمكن ان ينسب تاريخه الى حوالي بداية الالف الرابع قبل الميلاد . وقد وجدت بقايا هذا الدور في سهول ديالى جنوب جبل حميرين في اكثر من اثنين وعشرين موقعاً ، الا انه لم يعثر على مثال واحد في أي مكان من هذا السهل لموضع من دور العبيد يظهر فيه الاستيطان نهائياً كما في الاقليم المجاور لأكد الى الجنوب من رأس العمية وتل عقير (عكبر) وغيرها^(٢).

وفي الوقت الذي توجد فيه شظايا من دور العبيد في تل اسمر وتل عقرب (اجرب) وخفاجي في سياق طباق ، ولكنها جميعاً كانت في حال اقتران ثانوي مع مواد ادوار متأخرة .

واذا اردنا ان نوجز القول ، فإن الاستيطان في دور العبيد يتكون على ما يبدو من مستوطنات صغيرة تنزع للتجمع بصورة مفككة في مواضع طولية منعزلة ، تشكل الجزء الجنوبي من حوض ديالى الاسفل ، وليس بالامكان تخمين عدد السكان بصورة مباشرة ، سواء أكان ذلك للاقليم كله ، ام أي من مكوناته الفردية ، وكانت المستوطنات في بعض الحالات تتجمع بصورة متقاربة جداً ، مما يوحي بوجود تعاون بين سكانها في مهام الري ، بل حتى درجة من التكامل السياسي . كانت القرى على كل حال تبعد عن بعضها مسافة تتراوح من عشرة الى عشرين كيلو متر ، وهو تباعد يعزز في ضوء صغر حجمها الظاهر الرأي القائل بوجود روابط سياسية واقتصادية وثيقة بينها^(٣) .

٢. ادوار الوركاء والشبيه بالتاريخي :

شهد هذا الدور زيادة سكانية كبيرة ، واصبحت معظم المراكز الحضرية اكثر ازدهاراً بهم . وان هذه الزيادة الظاهرة في حجم المدن كل على انفراد كان لها الى درجة على الاقل ما يوازيها على ما يبدو من زيادة عدد المستوطنات الضرورية البعيدة ايضاً .

ولعل اهم توسع حدث كان في الجزء الغربي من الاقليم على امتداد الانهار القديمة التي تجري بين نهر دجلة وديالى الحاليين .

ويمكن القول باختصار وفقاً لما تم الحصول عليه من دليل اثناء عملية المسح ، ان عدد مواضع الاستيطان خلال دور الوركاء والشبيه بالتاريخي قد ازداد من ٢٢ الى ٤٣ موضعاً ، الا ان صورة التوسع لم تكن منتظمة تماماً ، بل لعلها تشمل بعض ما ترك محلياً هذه الزيادة العددية الكبيرة كانت نتيجة رئيسة لظهور مستوطنات جديدة في الجزء الغربي من الاقليم .

فهناك امتدت منطقة الاستيطان وصغر معدل المسافة الفاصلة بين المواضع الواقعة على امتداد ديالى الاسفل الى حوالي خمس كيلو مترات . ومما لا شك فيه ان هذا يعني اتصالاً اجتماعياً واقتصادياً اعظم او قد يعكس درجة من الوحدة السياسية بينهما .

ومما يعد ابداعاً مهماً اخر في ذلك الاقليم هو ان يكون لنهر ديالى مصبان جديان على دجلة ، ولعل هذا يعكس قدرة المزارعين الذين عاشوا قريباً منها على شق قنوات يتراوح طولها من ٦-٨ كيلو مترات .

وهكذا فان تغيرات توزيع الاستيطان التي حدثت في ادوار الوركاء والشبيه بالتاريخي كانت مسألة تتعلق بالدرجة لا النوع . فالمستوطنات المنعزلة التي اقيمت سابقاً اتحدت وامتدت ، اما الجديدة فقد ظهرت الى الشمال على مسافة منها (٤).

وقد عثر المنقبون في اقليم ديالى على صنفين من الاختتام الاسطوانية في العهد الشبيه بالكتابي من مجموع اربعة اصناف وجدت في وادي الرافدين ، وهو

الصنف الثالث والرابع ، ام الصنف الثالث فقد انتشر في منطقة ديالى ، وهي اختتام صغيرة صنعت من مواد تختلف عن تلك المستخدمة في الصنف الاول ، ويصور طرازها تخطيط حيوانات ، غالباً ما تظهر بصفوف فقط منها الاسماك والسفن واشكال خنازير ذات ذيل ، ومخلوقات غريبة تشبه العناكب . واسلوب تنفيذ الاختتام سمج ، وقد حفرت المشاهد حفراً دون صقل كاف.

وهناك صنف رابع شائع في منطقة ديالى والقسم الشمالي من بابل ايضاً ، يتميز بحفر زخرفة تجريدية حفراً عميقاً كالورقة الرباعية او الصليب، ونجد في المنحوتات طرزاً مشابهة لتلك الموجودة على الصنف الاول من الاختتام الاسطوانية ، حيث يظهر الحاكم وهو يقاتل الاسود بالقوس والسهم او على رأس موكب يحمل قرابين الى كاهنة الالهة (انانا Inanna) او الى الالهة انانا نفسها . وان النحت البارز يظهر غالباً على الاواني الحجرية ، حيث تتوفر للفنان الحرية في تحقيق رغبته في النحت البارز ذي المستوى الرفيع ^(٥).

٣. دور فجر السلالات :

يعد دور فجر السلالات بالموازنة من الادوار السابقة واللاحقة منها ، دوراً مفهوماً بصورة جيدة ومحددًا بشكل واضح . فقد اخذت من تل اسمر وتل عقرب وخفاجي نماذج على نطاق واسع كما تمت دراسة مقدار لم يسبق له مثيل من فخاره الذي عثر عليه في سياق تنقيبات طباقية دقيقة ، وتم نشر تفاصيلها .

وقد تمت مشاهدة ٩٧ موضعاً ووجد ان ما يزيد على خمسها يتميز بوجود طبقات فجر السلالات ، ان طبقات دور فجر السلالات على ما يبدو قد شهدت من ناحية العدد والحجم نمواً جوهرياً على مر الادوار ، ولكنها ظلت الى حد كبير ضمن المنطقة التي سبق استيطانها من قبل ^(٦).

وبحلول عصر فجر السلالات الثاني يمكن ان نفترض وجود مستوطنات سامية مكثفة في منطقة ديالى ، خصوصاً وان وجود الساميين في منطقة حوض نهر ديالى اقدم من الاكديين ، وقد ظلت ظاهرة وجود الساميين في الشمال والسومريين في الجنوب ملحوظة من تلك الفترة فصاعداً .

وقد استقرت ذروة الموجة القادمة في منطقة ديالى والاجزاء الشمالية من بلاد بابل^(٧).

ويبدو من التفتقيات التي اجريت في المنطقة ان هناك خمسة مدن كبيرة قد ظهرت في هذه الفترة تقع مباشرة الى الشرق والجنوب الشرقي من تل اسمر ، مع خمس مدن اصغر اضافة الى ٣١ مستوطنة اصغر منها مما يمكن اعتبارها قرى . هذه المواضع سوية تكون منطقة مبنية تشغل مساحة قدرها حوالي ١٣٣ هكتاراً من مجموع مساحة الاقليم كله البالغة ٣٨٤ هكتاراً والذي يقع الى الجنوب من جبل حميرين .

اما مساحة المنطقة المبنية الواقعة على امتداد الجدول الذي يجري على مقربة من المجرى الحالي لنهر ديالى الاسفل فلا تقل عن سابقتها الا بقدر ضئيل : مدينتان كبيرتان وسبعة صغيرة اخرى و ١٨ قرية تشغل مساحة قدرها ١٨ هكتاراً تقريباً . وبينهما كان اقليم تل اسمر على ما يبدو يمسك بزمام الاولوية في الاستيطان الاصلي ، الا انه لم يبق منطقة بارزة تتجمع في المدن و القرى المحيطة بها بعد ان تقلص الى درجة كبيرة عند نهاية دور فجر السلالات^(٨). ومجمل القول ان دور فجر السلالات كما يبدو قد شهد زيادة كبيرة في عدد السكان ، وفي حجم مراكز الاستيطان ، وفي الوقت نفسه بقيت مواضع هذا الدور مجتمعة في مناطق منعزلة مشابهة في الواقع لتلك التي شغلت في وقت سابق، وان شبكة المجاري التي كانت مصدراً لمياه الري لم تتغير الا قليلاً منذ ادوار العبيد وفجر السلالات ، وتظهر بوضوح بين المستوطنات رتب وفقاً لحجمها .

ولعل ذلك يتطابق تقريباً مع اختلافات اهميتها السياسية والوظيفية وتتراوح مساحة المدن الكبيرة من ١٠-٣٣ هكتاراً ، وفي بعض الحالات ان لم تكن كلها كانت مدناً مسورة ، ومن المفروض ان هذه المدن كانت تكون المراكز السياسية الرئيسة للاقليم ، حيث كانت تتجمع حولها وتعتمد عليها كثير من المدن الصغيرة والقرى بدرجات متباينة .

ويمكن القول في الختام بأن المناطق المنعزلة المحددة التي توجد فيها مواضع الاستيطان وحساب عدد السكان بصورة تقريبية جداً ، واستثمار الاراضي اعتماداً

على سعة الاطلال. تجتمع كلها معاً للدلالة على ان ثلث او اقل من الارض والمياه المتيسرة كانت تستثمر لمزاولة زراعة مروية اثناء دور فجر السلالات ، ولا بد بقاء عدد قليل جائل من السكان على اساس المعايير الحديثة ، وعلى الاخص في الجزء الشمالي من حوض ديالى الاسفل.

ويبدو ان مجموع السكان اقل من خمس ما هو عليه الان ، حتى لو اعتبرنا التركيز الاولى للاستيطان في مفازة النهروان التي تقع فيما وراء حدود الزراعة حالياً^(٩).

٤. الادوار الاكديّة والكوتية :

لعبت سهول ديالى دوراً استراتيجياً مهماً في العهد الاكدي ، ولعلها تكاملت بصورة اكثر مع سويداء السهل الرسوبي عما كانت عليه سابقاً ، او ما ستكون عليه ثانية بعد مضي وقت طويل .

وقد سميت قلعة باسم (ريمش) ثاني ملوك السلالة ، ومع ان موقعها لم يُحدد بدقة ، ولكن يفترض انها تقع قريبة من (اشجالي) او (نريبتم) القديمة ، لان ذكرها يرد مراراً في النصوص التي وصلتنا من هناك وازافة الى ذلك ، ان اخر حكام سلالة اغادي (شو-دورول) يحمل الاسم الذي اطلق على نهر ديالى في حينه ، ولعل ذلك يدل على اهتمام خاص بالمنطقة ، ويبلغ مجموع مواضع الدور الاكدي ٩٧ موضعاً ، تغطي اطلالها مساحه قدرها ٤٠٣ هكتاراً ، وهي مساحة تماثل في الواقع مساحة مواضع دور فجر السلالات^(١٠).

وأكبر ما ظهر للعيان منها هو (تل اسمر) حيث تتابع طبقات تمّ كشفها تضم عمارة ضخمة ووحدات سكنية خاصة^(١١).

وتعزز المعلومات الاثرية الحاضرة الرأي التاريخي القائل بأن المدن الكبيرة قد مرت بدور من الازمات والدمار اقترنت بغزوات الكوتيين التي حدثت في نهاية الدور الاكدي . ان الاثر الرئيس الذي تركه انتصار الكوتيين قد عمل على عزل اقليم ديالى بصورة دقيقة عن بقية السهل الطموي ، دون ان يجهد نفسه بالاغارة لتحقيق ذلك^(١٢).

٥. الاستقلال الاقليمي لسهول ديالى

الخضوع والافول (٢١٠٠ ق.م - ٦٢٦ ق.م)

ان الطور الرئيس الثاني من اطوار تغير انماط الاستيطان في اقليم ديالى الاسفل ، هو الطور الذي تمتع فيه الاقليم في بداية الامر باستقلال سياسي محلي على الاقل ، وكان ذلك في اوقات سيادة اشنونا القديمة ، ولكنه فيما بعد اخذ يقع شيئاً فشيئاً تحت سلطة احدى القوى الخارجية .

ونتيجة لذلك اصبحت بدايات الضعف واضحة في العصر البابلي القديم ، لا في معدل حجم المستوطنات فحسب ، بل وفي مجموع السكان الذي كانوا يعيشون في المدن والقرى المركزية ايضاً ، وفي النصف الثاني من الفترة الكشية لم يعد الاقليم خاضعاً لنفوذ الدولة البابلية المجاورة فحسب ، بل اصبح بدلاً من ذلك مباحة ، تتنافس عليها البابلية والعيلامية والاشورية وتقتسمها .

ويبدو ان مجموع السكان المقيمين في الازمنة البابلية الوسيطة قد تناقص الى جزء يسير مما كان عليه خلال فترات الاستقلال والرفاهية النسبية السابقة .

ولما عادت السيطرة السومرية في ظل سلالة اور الثالثة ظهر اقليم ديالى الاسفل ولاول مرة في مضان التاريخ المدون.

وتزودنا نصوص الابنية والوثائق المكتشفة في مواضع مثل تل اسمر وخفاجي واشجالي وتل حرمل بتسلسل السلالات المحلية التي يمكن وضعها باطمئنان تقريباً ، ضمن التسلسل التاريخي العام للجزء الجنوبي من بلاد وادي الرافدين^(١٣).

وباختصار فان هذه المصادر الكتابية تكشف اولاً ان اشنونا ظلت تحت ادارة حاكم يعينه ملوك ، ثم انها حصلت على استقلال متذبذب في اواخر حكم تلك السلالة ، بالتالي يبدو ان اشنونا سيطرت احياناً على مدن بعيدة نسبياً مثل سبار ورافيق الواقعة على نهر الفرات ، في حين اصبحت في احيان اخرى تابعة لحكام

مثل شمش - ادد الاول في بلاد اشور ، او ربما سلبت في احدى المرات من قبل (أنو - موتابيل) ملك دير .

ثم وقعت في نهاية الامر تحت سيادة بابل في السنوات الاخيرة من حكم حمورابي^(١٤).

٦. العصر البابلي القديم

ان حوض ديالى الاسفل ظل خاضعاً لسيادة بابل الاولى مدة تقل كثيراً عما كان معروف عنه قبل ذلك ، وهناك اشارات لحدوث تمرد لمدة قصيرة في عهد (سمسو - ايلوتا) والى قيام ذلك الملك فيما بعد بتشيد حصن جديد في خفاجي ، وكانت المنطقة بعد انقضاء ثمانى سنوات لا تزال تحت سيطرته ، فقد نسب السنة الثانية والثلاثين من حكمه الى اعمال قام بها لتعميق او تطهير نهري ديالى و دابان ، وفيما عدا ذلك لم يعثر على سجلات تاريخية .

وفي الواقع ان تنقيبات طبقات العصر البابلي القديم في اقليم ديالى الاسفل تمثل اول التنقيبات التي اجريت هناك .

وربما سبقتها تنقيبات (جونس) عام ١٨٤٨م ، كما حضر (لاريارد) لفترة وجيزة في تل محمد عام ١٨٥٠م ، وقد وجد لاريارد عدة كراة برنزية مجوفة او رؤوس دبائيس تحمل اشارة النصر (الملكية) قصر حمورابي^(١٥).

٧. العصر الكشي :

بقدر ما هو معروف لم يلعب اقليم ديالى الاسفل دوراً مستقلاً في فترة السيطرة الكشية على بلاد بابل ، فقد كان منطقة حدود مفتوحة على العراق تسلكها الجيوش الاشورية والعلامية ، ولعل علاقتها كانت متغيرة او متعارضة مع القوى الخارجية ، باختصار فان من الصعب ان نميز بين الاستيطان الكشي لاقليم ديالى الاسفل واستيطان العصر البابلي القديم الذي سبقه .

واذا قابلنا ذلك مع فترات سابقة اخرى ، اتضح لنا ان نقصاً كبيراً قد حدث في معدل حجم المستوطنات وما صاحب ذلك من قلة كثافة السكان وان هناك ما يحمل على الاعتقاد بان الافول في هذا العصر كان اسرع مما كان عليه حتى في

الفترات السابقة . وبالتالي يبدو ان الاقليم قد عانى مصير الضعيف الواقع بين قوى الكشيين والعلاميين والاشوريين المتنفذين والمتنافسين على حدوده^(١٦).

٨. الفترة الاخمينية :

ان تجدد الحياة المستقرة في اقليم ديالى الاسفل بدأ بصورة بطيئة في العصر البابلي الحديث ، واستمر خلال فترة الاخمينية ، وقد ادعى كورش بانه اعاد تماثيل الالهة الى موطنها الاعتيادية في اشنونا وميتورنو ، وانه في الوقت نفسه جمع شتات سكان هذه المدن.

الا ان ادعاء كورش لا تؤيده التنقيبات الحديثة ، اذ ليس هناك ما يدل على وجود استيطان في العصر الاخميني في اشنونا (تل اسمر) فلم تكشف مواسم التنقيبات الكثيرة التي اجريت في المواضع شيئاً من ذلك . وربما ان كورش شيد هيكلًا صغيراً على تل مهدوم ظل مهجوراً .

وقد كشف مشروع حوض ديالى الاثاري عن طبقات اخمينية محدودة في سماكه او اسكان بني الجنيد سابقاً.

٩. الفترة السلوقية والفرثية :

شهد اقليم ديالى الاسفل خلال الفترة التي بدأت بغزو الاسكندر تغييراً ابعد مدى من أي تغير سابق ، ويبدو ان حكام المنطقة السلوقيين والفرثيين على الاقل وان لم يصلوا الى المنجزات العباسية التالية ، الا انهم كانوا مسؤولين عن ادخالهم الكثير من المبتكرات في ميدان الاستيطان التي اتسمت بها التطورات المتأخرة المعروفة ، فالى سلوقس يرجع الفضل في تشييد ما لا يقل عن ٧٥ مدينة.

ونتيجة لترحيل معظم سكان بابل قسراً الى العاصمة الجديدة في سلوقية الواقعة على نهر دجلة عند نهاية مصب نهر ديالى ، فان سكان اقليم ديالى الاسفل لا بد وان يكونوا قد تعرضوا مباشرة ولا ول مرة الى تاثيرات المراكز العالمية الكبرى في العالم القديم .

وكانت طيسفون قد بنيت عبر النهر مباشرة ، وقد شيدت اصلاً معسكراً لجند الفرثيين ، ولكنها أصبحت فيما بعد محطة تجارية ، وعاصمة شتوية عظيمة للسلالة الارشافية .

وكان للنمط السلوقي والفرثي وجه اخر من انماط السيطرة الامبراطورية الملائمة لاقليم ديالى الاسفل هو تركيزها على تحسين المواصلات والتجارة .

وان الطريق الملكي بين سلوقيا الى بكتيريا (افغانستان) كان يمر مباشرة عبر اقليم ديالى الذي سمي فيما بعد بطريق خراسان وقد ادى ذلك الى اقامة شبكة من القرى اتخذت محطات للقوافل على الطريق البري الكبير الذي كان يسير شمالاً خلال ارتيميتا (خانقين) ومن ثم شمال شرقى اكبثانا (همدان) .

ويحتمل ان جزءاً من توسع الاستيطان الذي شهده الاقليم فيما بعد على الاقل يمكن نسبته الى قربها من الطريق المركزي . وبتشديد سلوقية وطيستفون انتقل اقليم ديالى الاسفل من وضعه السابق كمملكة مهددة ، او مقاطعة حدودية تجاهد في سبيل صد القوى الغازية الى اقليم من اهم الاقاليم واكثرها عمراناً في امبراطورية كبيرة ، ولما كانت التجارة مع الاقاليم البعيدة مزدهرة بشكل رئيس ، فانها دون شك حملت بعض المنتجات المعاشية الى مدن الاقليم من مناطق بعيدة جداً^(١٩).

١٠. تدمير الرومان لمنطقة ديالى (الفترة الساسانية) :

شهد العراق في فترة السيطرة الساسانية صراعاً شديداً مع الدولة الرومانية (البيزنطية) . وكان سير التطورات في منطقة ديالى يتأثر بالعلاقات العسكرية بين الجيوش الساسانية والبيزنطية على الحدود الغربية والشمالية الغربية بشكل غير مباشر ، اذ تتضح مثلاً من تفاصيل تقدم (جوليان) ضد طيسفون تاثيرات العداء الساساني الروماني المدمر والطويل الالامد التي تركت اثراً واضحة على طول اواسط نهر الفرات ونهر الملك وهي مناطق تقع في عمق الحدود الاعتيادية ، وقد تضمنت الاجراءات الدفاعية الفارسية تدمير السدود على نطاق واسع واغراق الاراضي ، وفي الوقت نفسه سد الطرق المائية الرئيسية لمنع الرومان من استخدامها في المواصلات ، ولم يقتحم جيش (جوليان) بدوره المدن الرئيسية والنقاط المهمة على طول خط تقدمه فحسب ، بل واحرق ايضاً المدن الصغيرة والقرى المهجورة التي هرب سكانها .

كما ارسل فرقاً صغيرة لقتل الماشية وتدمير المزارع ، وكانت الحملات الرومانية حاسمة بشكل خاص على المدن ، فقد محيت من الاساس مدينة سلوقية ، التي ربما كان قد وصل الى ٨٠.٠٠٠ نسمة قبل ذلك الوقت أي في ايام (افيدوس كاسيوس) عام ١٦٥م.

وقد وجدها (سبتيوس سفيروس) مهجورة بعد ثلاثين سنة وكانت طيسفون قد هوجمت ثلاث مرات في غضون القرن الثاني الميلادي عندما ضعف الفرثيون ، ثم احتلها الإمبراطور اورليانس عام ٢٨٣م ، ثم ان القوات الرومانية انتشرت بكثافة على شاطئ دجلة الايسر في منطقة ديالى الاصلية اثناء تراجع دوليان بصورة مفاجئة عام ٣٦٣ م بعد ان حال حرق اسطوله دون عودة جيشه بالطريق التي تقدم بها ، فضلاً عن الغارة المدمرة التي شنّها هرقل على الجزء الشمالي من المنطقة ٦٢٨/٦٢٧ م .

وبالاجمال فقد كان هناك تدمير متكرر وواسع لم يقتصر على المدن والمراكز الحضرية ، بل شمل وسائل الزراعة الاساسية التي يعتمد عليها ازدهار الاقليم . لذلك فمن الواضح ان العناية قد وجهت بالدرجة الاولى الى تطور طيسفون باعتبارها عاصمة ، ومنطقة ديالى باعتبارها اقليماً زراعياً اكثر من بقية الاقاليم والمدن المعرضة للتهديدات العسكرية على الجانب الايمن من نهر ديالى .

مملكة اشنونا :

من الدويلات المهمة التي قامت في العصر البابلي القديم مملكة اشنونا في حوض نهر ديالى الاسفل في المثلث المحصور ما بين دجلة وديالى وسفوح مرتفعات زاجروس شرقاً ، وسميت نسبة الى مركزها او عاصمتها المسماة (اشنونا) تل اسمر الان .

وقد ازدهرت في هذه المنطقة حضارة وادي الرافدين في عصر فجر السلالات الذي اطلق عليه الحجري المعدني . ولما قامت الدول الكبيرة في العصر الاكدي ، وفي عهد سلالة اور الثالثة كانت هذه المنطقة من اغنى الاقاليم التابعة لهما .

وبالإضافة الى المراكز الرئيسية التابعة الى هذه المنطقة مثل تل اسمر وخفاجي واشجالي وتل اجرب وغيرها ظهرت من تحريات مديرية الآثار العراقية ان هناك جملة من مراكز أخرى مهمة تمتد الى مدينة بغداد الحالية ، ولاسيما ضواحيها الشرقية ، مثل تل حرمل في منطقة تل محمد ، او ما يسمى الان بغداد الجديدة^(٢٠). وقد اظهرت التنقيبات التي اجريت في الموضع (١٩٤٥-١٩٦٢) نتائج مهمة في معرفتنا بحضارة وادي الرافدين في العصر البابلي القديم ، وقد تبين من النصوص المكتشفة فيه ان اسم الموضع القديم (شاديم) وكان بين المراكز الادارية التابعة الى مملكة اشنونا من بعد استقلالها في نهاية سلالة اور الثالثة ، ووجدت في تل حرمل مجموعات كثيرة من الواح الطين (ما بين ٤٠٠٠-٥٠٠٠ لوح) المتنوعة في محتوياتها ، مثل العقود والوثائق التجارية والقانونية والاقتصادية والمعاملات الاخرى والرسائل ، وجملة من الواح رياضية مهمة ، ونسخة من الشريعة العائدة لمملكة اشنونا يرقى زمانها الى اوائل العصر البابلي القديم (في حدود ١٩٠٠ ق . م - ١٨٥٠ ق . م) أي تسبق شريعة حمورابي بنحو قرن ونصف^(٢١).

وينسب بعض علماء الآثار هذه الشريعة الى الملك بلالاما او (دادوشا Dadasha) اخو نرام - سين ملك اشنونا^(٢٢). وقد قام بنشرها (أي كوتزة)^(٢٣) سنة ١٩٥١-١٩٥٢ وهي مجموعة من التعليمات الخاصة بالاسعار والاحكام القانونية تبدأ بتثبيت اسعار معظم المواد الرئيسية في الحياة الاقتصادية (الشعير والدهن على اختلاف انواعه ، والشحم والصوف والملح و التوابل والنحاس ، ويتبعها مواد خاصة بتحديد اجور العربات والقوارب واجور العمال الزراعيين على مختلف انواعهم)^(٢٤).

وكان للتشابه الكبير في المضمون بين قانون اشنونا وقانون حمورابي سبب في اثار تساؤلات ونقاش حول ما اذا كان هناك دليل على الاقتباس المباشر ، ويستنتج العلماء بعد دراسة مفصلة للموضوع بانه ليس هناك دليل واضح على ان بعض مضمون كلا القانونين مشتق اصلاً من اصول قديمة واحدة^(٢٥).

ومن المواضيع المهمة التابعة الى مملكة اشنونا التل المسمى تل الضباعي وهو قريب من تل حرمل السالف الذكر ، وقد تحرت فيه مديرية الآثار العراقية (١٩٦٠-١٩٦٣) ووجدت مجموعة مهمة من الواح الطين المهمة بمختلف

المعاملات والشؤون الحياتية ، من بينها بضعة الواح رياضية مهمة ، وتبين من دراسة هذه اللوح ان اسم تل الضباعي القديم كان بهيئة (وزارز الولو) او (زارلو) . ووجد في الموقع معبد صغير شيد لعبادة اله المدينة الذي ورد في اللوح المكتشفة بهيئة (لاصميم) .

ان موقع دولة اشنونا الجغرافي ومجاورتها لبلاد عيلام وبلاد اشور ، وبلاد اكد في الوسط جعلها ذات اهمية خاصة في تاريخ حضارة وادي الرافدين ، بالاضافة الى تأثيرها الحضاري والاقتصادي من الجهات الشمالية والشرقية وبلاد سومر واكد من الجنوب ، حيث تاثيرات حضارة وادي الرافدين تلتقي بالتاثيرات الثقافية الاتية من الجهات الاخرى ، ولذلك تميزت حضارة هذه المملكة بخصائص محلية بالاضافة الى طابع حضارة العصر العامة .

فمن الخصائص المحلية اسماء بعض الالهة ، وعلى رأسها كبير الالهة المسمى (تشباك) الذي يطابق الاله الحوري (تشوب) واسماء ملوكها وحكامها ، ولاسيما في فترة العهد البابلي القديم فبعضها اسماء سامية ، وبعضها من اصول غير سامية^(٢٦).

وقد تنازع ملوك اشنونا بعد تدهور امبراطورية اور الثالثة ، لكن انتصارات حمورابي قد عرقلت تقدم طموحاتهم^(٢٧) ، فقد كانت منطقة اشنونا تابعة اول الامر الى ملوك الدولة الاكدية ثم بعد فترة الحكم الكوتي الى ملوك اور الثالثة حين شيدت المعابد لعبادة ملوك هذه السلالة ، ولاسيما الملك (شوسين) .

وقد كشف عن المعبد المشيد له تل اسمر ، ويبدو ان منطقة اشنونا كانت اولى الولايات التي انفصلت عن امبراطورية اور الثالثة في عهد اخر ملوكها (آبي-سين) في حدود ٢٠٢٨ ق.م وكان اخر الحكام التابعين الى اور الشخص المسمى (أتوريا) فأخذت اشنونا تستبدل التقويم السومري الخاص بسلالة اور الثالثة واسماء الاشهر والحوادث المتخذة للتاريخ بتقويم خاص بها ، كما برز شأن، الهها (تشباك) السالف الذكر ، وصار ملوك هذه الدويلة المستقلة يلقبون انفسهم (عبد تشباك) بدلاً من (عبد ملك اور) وحول المعبد الذي شيد لعبادة ملك اور (شوسين) الى بناء ذي وظيفة دنيوية ، وشيد بجانبه قصر كبير كما حلت اللغة الاكدية السامية محل اللغة

السومرية بصفتها لغة التدوين الرسمية^(٢٩)، وبذلك لم تعد اشنونا منذ السنة الثالثة من عهد ابي سين على اتصال اداري مع اور منذ عهد (اتوريا Ituriya) .

وكان (ايلوشا - ايليا Iishu-Iliya) ابن اتوريا قد بدأ كاتباً في خدمة ابي سين، وبعد ذلك فأن هناك نصاً يدعوه (الملك العظيم ، ملك بلاد واريوم Wariwm) وكان الاسم واريوم هو الاسم المحلي للمنطقة التي كانت اشنونا عاصمتها ، ، ومع ذلك فقد كان خلفاء (الشو-ايليا) قانعين بالعودة الى لقب (انسى) الا (ابق-ادد Ipiq_Adad) حدود ١٨٤٠ ق.م الذي حمل اللقب الملكي مرة ثانية ، وفضلاً عن ذلك فهناك عدد من الاختتام الاسطوانية من وقت (الشو-ايليا) من اشنونا تنقل الصفات الملكية الى اله المدينة (تشباك Tishpak).

ويضيف احد هذه الاختتام اللقب الامبراطوري (ملك الجهات الاربعة) وبذلك فقد ادعت اشنونا السيطرة العالمية من خلال اله مدينتها^(٢٩).

وقد خلف لنا ملوك اشنونا الاوائل طائفة من كتابتهم الرسمية ، ونصوصاً أخرى متنوعة خاصة بالشؤون الادارية والاقتصادية ، والكثير فيها مؤرخ بطريقة التاريخ من الحوادث المهمة ، وبعد نيلهم الاستقلال على اثر انحلال امبراطورية اور صاروا يوسعون رقعة مملكتهم ، ودخلوا في العلاقات الدولية يوسعون من رقعة مملكتهم ، ودخلوا في العلاقات الدولية المختلفة مع الدويلات المجاورة ، وقد استوطن بعض الجماعات الامورية منطقة اشنونا الاقليم المسمى (يموت-بعل) المتاخم لاشنونا والذي يكون جزءاً من هذه المنطقة الخصبة ما بين دجلة غرباً وديالى شرقاً^(٣٠).

وقد استطاعت دولة اشنونا بمساعدة المجاميع الامورية بالهيمنة الكاملة لوادي نهر ديالى الاسفل بضمنه المركز المهم لمدينة (توتب) خفاجي ، وربما امتدت سلطتهم ابعد نحو الشمال لتشمل منطقة كركوك ايضاً^(٣١).

وبلغت مملكة اشنونا في الفترة الاولى من استقلالها مستوى ملحوظاً في الازدهار السياسي والاقتصادي ، والمرجح انه حكم في هذه الفترة الملوك الاتية اسمائهم :

ايليشو-ايليا ، ونورآخم ، وكير يكييري ، وابنه بلالاما ، الذي شيدت في زمنه المدينة الجديدة التي اطلق عليها اسم (توتب) خفاجي، وهو الذى قوى تحصينات مدينة

اشنونا العاصمة ويرجع الى عهده تاسيس اخرى اسمها (تابي - تشابك) واقامة معبد لاله المدينة تشباك باسم (أي - سكل) ويدل اللوح الذي وجد في اشنونا على ان (بلالاما) كان معاصراً لملك دويلة دير (تلو العقر الان قرب بلدة بدره) المسمى (أنومتيل) وحلت من بعد حكم (بلالاما) في تاريخ مملكة اشنونا فترة مظلمة لا يعلم مقدار طولها بوجه التاكيد ، صارت فيها مرة تحت نفوذ دويلة ايسن ، ومرة اخرى تحت نفوذ ملك دير ، ثم سلطة كيش الى ان ظهر فيها سلسلة جديدة من الحكام اولهم (ابق-ادد) الثاني في حدود ١٨٥٠ ق.م ابن (اباليل) الاول فاستعادت هذه المملكة في عهدهم استقلالها وازدهارها^(٣٢). واندفع (ابق-ادد Ipiq Adad) نحو الغرب الى (رابيقم - Rapiquum) على نهراالفرات وبذلك قطع أي توسع لبابل نحو الشمال^(٣٣).

وخلف ابق ادد ابنه المسمى (نرام سين) الذي وسع نفوذ المملكة الى الفرات الاوسط في المدينة المسماة (رابيقم) من منطقة الرمادي ، والى مدينة اشور ، و(قبارا) في سهل اربيل ومدينة (اشتاكم) على الخابور ، ولقب نفسه (ملك بلاد اشور) والمرجح كثيراً ان (نرام - سين) اشنونا و (نرام - سين) المذكور في اثبات الملوك الاشوريين على انه السلف الثاني لشمش ادد كان شخصاً واحداً^(٣٤). فتذكر جداول الملوك الاشورية ملكاً باسم نرام - سين الذي يمكن ان يكون نرام - سين المعروف حاكم دويلة اشنونا على نهر ديالى ، وذلك يفترض قيام مملكة اشنونا بغزو بلاد اشور ، غير انه لا يوجد وثائق منطقة اشنونا المتوفرة حالياً ما يشير الى مثل هذا الحادث ، على الرغم من انها تشير الى ان اشنونا كانت في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد دولة قوية وواسعة النفوذ ، وعلى كل حال ، فاذا كانت بلاد اشور قد وقعت فعلاً تحت نفوذ اشنونا ، فان ذلك لم يكن لفترة طويلة حيث وقعت الدويلة اخيراً بيد زعيم اموري اخر هو الحاكم القدير شمشي ادد (حوالي ١٨١٤ ق.م - ١٨٧٢ ق.م)^(٣٥).

وجاء الى حكم اشنونا بعد نرام - سين اخوه المسمى (دادوشا) وكان ملكاً قوياً طموحاً في حقل الفتوح الخارجية ، فقد شن الحرب على مدينة (ماري) حيث كان يحكم فيها (أشمي دكان - Ishme Dagan) نيابة عن ابيه (شمش - ادد الاول

(المشهور ، وقد اسهم دادوشا في انهاء الحكم الاشوري في ماري^(٣٦) . وظلت اشنونا عاملاً مهماً في العالم السياسي في وادي الرافدين حتى في ظل حكم (ابال-بيل الثاني Ibul pial II) خليفة دادوشا في حدود ١٧٩٠ ق.م^(٣٧) .

كانت العلاقات بين اشنونا وماري (تل الحريري قرب البوكمال) اقرب ما تكون الى العلاقات العدائية ، فكانت مملكة اشنونا في عهد ملكها دادوشا تحرض الاقاليم والقبائل المجاورة للثورة على ماري وبلاد اشور التابعة لها ، لان ظهور (شمش- ادد) القوي في اشور ضيق الخناق على مملكة اشنونا ، وقد استطاع بعض ملوك هذه المملكة وبوجه خاص (نرام - سين) ان يبسط حمايته على بلاد اشور . ولما توفي الملك شمش ادد في العام السابع من حكم حمورابي (١٧٨٦ ق.م) وفي الخامس والسادس من حكم ملك اشنونا (ابايل) الثاني اعقب في حكم اشور ابنه القوي (اشمي-دكان) ، وظل اخوه (يسمح ادد) يحكم ماري نائباً عن اخيه ، ولكنه لم يستطع المحافظة عليها عندما ظهر احد الامراء من اهل ماري المسمى (زمري-لم) .

وازاء المحاولات الخطيرة التي بدرت من مملكة اشنونا للاستيلاء على منطقة الجزيرة العليا ، ولا سيما اقليم حران ، لان الاستيلاء على هذه المنطقة معناه قطع الاتصالات التجارية الحيوية لمملكة ماري ومملكة بابل ، اضطر حمورابي ان يقضي على مملكة اشنونا ويضمها الى مملكة بابل الموحدة^(٣٨) .

وبذلك اصبح اقليم ديالى تابع الى الامبراطورية البابلية ، وقد وجد (لارياد) خلال تنقيبه في تل محمد عام ١٨٥٠ عدة كراة برنزية مجوفة ، او رؤوس دبائيس تحمل اشارة النصر (ملكية) في قصر حمورابي^(٣٩) .

بدأ التنقيب في اقليم ديالى الاسفل في وقت مبكر منذ ايام جونس ١٨٤٨م ولايرد ١٨٥٠م .

واستمر التنقيب بعد لايرد طيلة ثمانين سنة ، وهي مدة اصبح خلالها علم الاثار علماً ناضجاً ، وقد قام المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو برئاسة الاستاذ فرنكفور (H.Frankfor) خلال الثلاثينات (١٩٣٠-١٩٣٧) بتنقيبات هامة اسفرت عن نتائج باهرة ، كما ساهمت مديرية الاثار العراقية بتحريات في معظم المواقع

الاثرية ، فاضافت معلومات هامة عن حضارة هذا الاقليم ، خصوصاً في منطقة تل محمد (١٩٤٥-١٩٦٢) (٤٠).

وقد اعطت نتائج التنقيبات في تل اسمر وخفاجي وتل محمد وتل عقرب وغيره من المواقع علماء الآثار معلومات قيمة عن عصر فجر السلالات اغزر من تلك المعلومات التي استخرجت من المدن السومرية نفسها ، ففي المدن السومرية القديمة تتواجد قواعد بنايات قديمة جداً مدفونة تحت اطلال نصب وبنايات اكثر حداثة منها اما في تل اسمر وخفاجي فبامكاننا متابعة عملية اعادة بناء مستمر للمعابد وفق تصاميم متنوعة ، ولكن بنفس المواد الانشائية على الدوام أي بالآجر او اللبن (المستوي المحدب Planoconvex) المرتب بنحو منحرف او مائل والذي يشكل السمة المميزة لهذا العصر (٤١)، والذي انتشر في منطقة ديالى ، وهو ليس كالشكل المستطيل الاعتيادي ، بل انه مسطح احد الوجهين ، في حين يكون الوجه الاخر محدباً ، وكان يوضع على منحدر بحيث تكون زاوية احد الاطراف مقابلة لزاوية اللبنة السابقة ، فتشكل طرازاً على شكل هيكل عظمة السمكة في الجدار.

ان جميع هذه المبتكرات تشير الى وصول اقوام جديدة ، وهي بالتأكيد الاقوام الاكدية . وعلى هذا يجب استثناء اليد السومرية في مبتكرات عصر فجر السلالات الثاني على فن مواقع ديالى .

ويظهر فخار منطقة ديالى ايضاً استقلالاً عن التأثير السومري بشكل اوان فخارية ملونة بالاحمر ومزخرفة باشكال ادمية ، ويسمى هذا الطراز من الفخار (الاواني القرمزية) (٤٢).

وقد امتاز فخار وادي ديالى القرمزي برسومه المعبرة عن الحيوانات والبشر التوهج الاخير لفن الفخار الملون العائد لازمان ما قبل التاريخ ، وبوسعنا - على حد قول جورج رو - ان نلعب بدمى العربات الطينية التي كانت تستخدم كلعب للاطفال الذين عاشوا في تلك الازمنة الغابرة (٤٣). اما المنحوتات المكتشفة في حوض ديالى في خفاجي (توتب - Tutub) وتل اسمر (اشنونا Eshnunna) وتل اجرب عن طبقات عصر فجر السلالات الثاني تعطي انطباعاً غريباً ، فهي قاسية وخشنة وتميل الى التجريد ، لذلك فهي ليست كالأعمال السومرية من العهد الشبيه بالكتابي

اطلاقاً . كما انها لا تشبه الفن السومري ، في عصر فجر السلالات الثالث باشكاله المدورة الطبيعية التي ربما اشتقت من العهد الشبيه بالكتابي^(٤٤).

المواقع الاثرية في منطقة ديالى

١. تل اسمر:

وهو موضع المدينة القديمة (اشنونا) عاصمة المملكة التي عرفت بهذا الاسم ايضاً ، وقامت في المثلث المكون من الاراضي الخصبة ما بين ديالى شرقاً ودجلة غرباً ، وتقع اطلالها على بعد نحو ٥٠ ميلاً شمال شرقي بغداد. وقد استغرقت التحريات فيها ستة مواسم (١٩٣٠-١٩٣٦) ونتجت الكشف عن جملة مبان مهمة كالمعابد القصور من مختلف الادوار التاريخية ، من بينها ما يعود الى عصر فجر السلالات .

وكانت اثار العصر البابلي (في حدود ٢٠٠٠ ق.م - ١٥٠٠ ق.م) اخر ما وجد في هذا الموضع ، وعثر في اثناء التنقيبات على مجموعات مهمة من النصوص والوثائق المدونة ، بعضها يرجع الى العهد الاكدي (زهاء مائتي لوح من الطين) واكثر من الف لوح من زمن سلالة اور الثالثة والعهد البابلي القديم^(٤٥). ومن بين ما كشف عنه التنقيبات في تل اسمر الذي سبق ان عرفناه سلسلة من المعابد المهمة ، يرجع عدد منها الى عصر فجر السلالات ، منها ما اطلق عليه اسم المعبد القديم الذي شيد في الطور الاول من عصر فجر السلالات ومعبد اخر سمي (المعبد المربع) يرجع الى الطور الثاني من هذا العصر ، ووجد معبد ثالث يرجع زمن تاسيسه الى اوائل الطور الثالث من العصر نفسه ، سمي بالمعبد (ذي المزار الواحد) وامكن تعيين الاله الذي خصص لعبادته بانه الاله المسمى (أبو) او (أيا) بدلالة بعض النقوش الكتابية ، كما وجد فيه عدد من المنحوتات^(٤٧). وهناك معبد اخر - الذي يعتمد مبدأ الغرفة الطويلة ذات المدخل الجانبي - وجد في تل اسمر الى عصر اور الثالثة وهو معبد شوسين الذي بقي منفرداً في طرازه ، حتى جاءت سلالتا ايسن و لارسا ، فانتشر بشكل واضح واصبح طرازاً ثابتاً لمعابد وسط وجنوب العراق حتى نهاية العصر الاكدي^(٤٨).

٢. تل خفاجي :

يقع التل المسمى (خفاجي) او خفاجة على بعد نحو ٧ اميال شرق بغداد ، او نحو ١٢ ميلاً جنوب شرقي تل اسمر ، وهو موضع المدينة المقدسة المسماة (توتب Tutub) وقد استمرت التحريات فيه ثمانية مواسم (١٩٣٠-١٩٣٨) تم الكشف فيها عن جملة معابد منها ما يرجع في عهده الى عصر فجر السلالات مثل المعبد (البيضوي) ومعبد لاله (سين) والالهة (ننتو) ، كما وجدت مجموعات مهمة من الواح الطين بعضها من العصر الاكدي والبعض الاخر من العصر البابلي القديم ، وتل خفاجي منطقة اثرية واسعة تتألف من اربع مجموعات من التل ، اطلق عليها المنقبون تل (A) وتل (B) وتل (C) وتل (D) .

فالاول من هذه التلول اوسع موضع استمر الاستيطان فيه من العهد الشبيه بالكتابي ، وكشف فيه عن ثلاثة معابد مهمة هي المعبد (البيضوي) والمعبد المخصص للاله (سين) والمعبد الثالث للاله المسماة (ننتو) وعثر المنقبون في التلين B و C على حصن شيده الملك البابلي (سمسو ايلونا) ابن الملك حمورابي ، وكشف في التل (D) عن مجموعات من بيوت السكنى يتوسطها معبد اخر للاله (سين) ووجدت في هذه المنطقة مجموعة مهمة من الواح الطين^(٤٨).

معابد الاله سين في خفاجي :

سجل المنقبون في خفاجي عشرة ادوار من البناء مرّ فيها المعبد الذي شيد لعبادة اله القمر الشهير في حضارة وادي الرافدين المعروف باسم (سين) واسمه السومري (ننا او ننار) حيث عبد في جملة مراكز اخرى اشهرها مدينة اور ومدينة حرّان .

ويبدأ اقدم دور شيدّ فيه معبده في خفاجي من دور جمدة نصر ، واخر ادواره يرجع الى نهاية عصر فجر السلالات ، قبيل العصر الاكدي الذي تلاه . اما ادوار هذا المعبد التي ترجع الى عصر فجر السلالات باطواره الثلاثة فتبدأ من المعبد السادس الى المعبد العاشر ، حيث تمثل المعبدان السادس والسابع الطور الاول من هذا العصر ، ويليهما المعبد الثامن الذي يعود في زمنه الى الطور الثاني من عصر فجر السلالات . وقد اتسم المعبد في دور الثامن بضخامة جدرانه ، بيد انه بني مرفق المخطط والتصميم الخاصين بالطور السابق .

وتفرد المعبد الثامن بما وجد فيه من المنحوتات ، اما المعبد التاسع فقد أُرجع الى ما بين الطورين الثاني والثالث ويليه دور المعبد العاشر الذي خصص الى الطور الاخير أي الطور الثالث من عصر فجر السلالات .

وجد في المعبد من هذا الطور مجموعات من قطع التماثيل الجميلة واصاب المعبد في دوره التاسع حريق بالغ ، كما تشير الى ذلك الاثار الواضحة التي سجلت فيه ، وكسر التماثيل المحطمة .

وقد عزي هذا الحريق الى تخريب المنطقة على يد حاكم مدينة لجش المسمى (ايا ناتم) الذي اشتهر بحروبه الداخلية والخارجية^(٤٩).

معبد الالهة (ننتو) في خفاجي

ومن المعابد التي كشفت عنها التحريات الاثرية في خفاجي معبد نسب الى احدى الالهات المسماة (ننتو) احدى الالهات الخاصة بالولادة والانجاب ، وقد سجلت له سبعة ادوار بنائية كان اخرها المعبد السابع الذي وجد فيه لوح من الحجر منقوش باسم هذه الالهة التي لم يسبق لها ذكر في العصور القديمة قبل سلالة اور الاولى ، ولذلك حدد زمن الدور السابع من المعبد بانه يرجع الى عصر فجر السلالات الثالث .

اما المعبدان السادس والخامس اللذان يسبقانه في الزمن فقد ارجع عهدهما الى الطور الثاني من هذا العصر ، وشغلت ادوار المعبد الاول والثاني والثالث والرابع الطور الاول واول الطور الثاني من عصر فجر السلالات .^(٥٠)

المعبد البيضوي في خفاجي

شيد المعبد في ثلاث فترات بنائية ، كلها من عصر فجر السلالات ، وتعتبر المرحلة الاخيرة هي الاكثر اكتمالاً.

ويتكون المعبد من شرفة (مصطبة) رباعية الشكل مع سلم عمودي على ضلعها الغربي ، ويفترض ان المعبد شيد فوق هذه الشرفة ، وتحيط بها ساحة شبه مستطيلة ، ويحيط بها الساحة والمعبد من الخارج جدار بيضوي ، وتبلغ مساحة الشرفة ٢٥م×٣٨م ، وتحتصر في الساحة بين جدار الفناء والجدار البيضوي ٢٠ غرفة معظمها غير منتظمة بسبب تقوس جدرانها الخارجية^(٥١).

اما شكل المعبد الخارجي ، فهو بيضوي ، ويشغل حارة مقدسة واسعة مساحتها ٨٠٠٠ متر مربع مسورة بجدارين ضخمين يحيطان مزار المعبد ويقع المزار المقدس في احد طرفي الساحة الكبيرة .

وقد كشفت التنقيبات في هذا المعبد عن طريقة غريبة اتبعت في تشييده ، فقبل ان تقام اسسه حفر خندق كبير عميق استلزم حفره رفع ما يقارب (٦٤٠٠٠) متر مكعب من التراب ، ثم وضع بدلاً منه رمل نظيف صاف لاقامة اسس المعبد فوقها .

وقد جدد بناء هذا المعبد في ثلاثة ادوار رئيسة في عصر فجر السلالات الاول والثاني ، ووجد مرتين في الطور الثالث في هذا العصر . وعثر فيه من مختلف ادواره على اثار نفيسة ، من بينها مجموعة مهمة من المنحوتات ، بعضها الواح من الحجر مربعة ومنحوتة بالنحت البارز بمشاهد مختلفة ، منها ما يمثل موضوعات دينية فسرت بانها تصور موكب ما سميناه بالزواج الالهي او الزواج المقدس .

٣. تل اشجالي (نيربيتوم القديمة)

يقع هذا الموضع الثالث من التلول الاثرية في منطقة ديالى على بعد ٣ اميال جنوب شرقي خفاجي ، واستمرت التحريات فيه طوال موسمين من العمل (١٩٣٤-١٩٣٦) ورجح ان يكون موضع المدينة القديمة المسماة (نيربيتوم او نيربيتوم Neribtum) بين ما كشفت عنه التحريات فيه معبدان خصص احدهما لعبادة الالهة عشتار الملقبة (كتيتم او كيتيتوم Ishtar Kititum) والثاني الاله (شمش) .

تبلغ مساحة معبد عشتار المستطيلة الشكل (٦٠م×١٠٦م) ويتكون من معبد رئيس يحتل النصف الغربي من مجموع الساحة تقريباً ، ومن معبدتين صغيرين يقعان على التوالي على امتداد الضلع الشمالي الغربي الطويل ، اما الساحة الجنوبية الشرقية الكبيرة فانها ذات مدخل كبير ومهيّب مزين بابراج على الجانبين ، يفتح على الزاوية الشرقية من الساحة .

ومن الساحة يتقدم المرء باتجاه المغرب الى مدخل اخر بابراج يرتقى اليه بسلم ، ثم الى ساحة ثانية اصغر مساحة . تمتد هذه الساحة باتجاه شمالي جنوبي تقريباً ، ولها مدخل اخر ذو ابراج تكتنفه في الزاوية الجنوبية للمعبد ، وعلى الطرف المقابل لها شمالاً تقع صومعة الالهة المزدوجة ذات الوضعية العرضية ، وتنتهي الغرفة الثانية للصومعة بمحراب عميق يقع على محور الباب ، وبالتالي على محور المدخل الجنوبي للمعبد . وبذلك يستطيع الواقف في الشارع اذا ما فتحت الابواب امامه رؤية تمثال الاله فوق الدكة مباشرة .

اما المعبدان الصغيران ، فان الاول منهما له مدخل في زاوية المبنى الشمالية الشرقية ، ومنها الى غرفة مجاز ذات مداخل غير متقابلة على محور واحد مما لا يتيح للناظر من الشارع رؤية ما يجري في الداخل .

ومن غرفة المجاز الى ساحة مستطيلة تحيط بها غرف تنتهي بصومعة عرضية مفردة وبمحراب عميق نسبياً .

اما المعبد الثالث فانه يقع خلف صومعة المعبد الصغير الاول والدخول اليه من غرفة في الساحة الكبيرة للمبنى ، ومنها الى الساحة الداخلية ، ثم الى صومعة تمتاز بغرفة طويلة تفتتح عليها ثلاث غرف صغيرة وتنتهي في الضلع المقابل للمدخل بمحراب عميق .

ان هذا المعبد يمتاز بظهور المخطط الكامل والقابل لاحتواء عدة مرافق دينية وخدمية تابعة لها مع تخطيط دقيق للحركة باتجاه صوامع العبادة الاخرى كما يستطيع استقبالهم مباشرة من الخارج بواسطة البوابة الجنوبية .

اما المعبد الصغير الشمالي فانه ايضاً يتمتع بمقدرة على استيعاب الداخلين اليه من الخارج بمدخل مستقل ، بينما يتقبل الحركة من الداخل عبر غرفة مجاز تفتتح منه على الزاوية الشمالية للساحة الكبرى .

اما الاشارة الالهة هنا فهي الحلية العمارية التي تزين ابراج المدخلين الخارجي والداخلي وابراج الصومعة في المعبد الرئيسي ، وهو عبارة عن شقوق طولية ذات اعماق متدرجة الى الداخل بدرجتين ، وتقع هذه الشقوق الطولية (الدخلات) متوازية على مسافات متساوية من بعضها البعض .

اما الابواب الاخرى ذات الابراج شرقاً وشمالاً فانها كانت اقل زينة وخالية من هذه الدخلات ، وذلك لانها لم تكن لتؤثر المداخل المباشرة الى صومعة المعبد الرئيسي . نلاحظ ان هذا الامتياز المعماري الخاص بالالهة يتكرر في واجهات مداخل الصوامع الثانوية في المعبد كما في صومعة المعبد الرئيسي .

٤. تل حرمل

كان تل حرمل - ويدعى شادوبوم - الواقعة بالقرب من بغداد ، احد المراكز الادارية المهمة التابعة لمملكة اشنونا ، والتي جرى الاحتفاظ فيها بنسخة من القوانين الملكية في قاعة المدينة للرجوع اليها في وقت الحاجة بسهولة .

وقد اعطى هذا الموقع عدداً كبيراً من الرقم المهمة ، وخصوصاً القوائم التاريخية ، والمسائل الرياضية .

وقد عثر في تل حرمل على معبد مهم يعود تاريخه الى العصر البابلي القديم ، وهو قريب الشبه الى المعبد الرئيسي في اشجالي ، الا ان الغرف لا تحيط بضلعي الفناء الطويلين ، وانما بضلع واحد (الشمالي) ، بينما بقى الضلع الجنوبي متحرراً من اية اضافات عليه .

ويقع مدخل المعبد المدرج الذي تحرسه ابراج مزينة بشقوق طويلة تنتهي بسلاسل تقود الى مدخل له ابراج بنفس الشقوق الطويلة ، ثم غرفتين عرضيتين تشكلان الصومعة المزدوجة ذات محراب في صدر الغرفة الاخيرة .

ويقع المحراب وبقية الابواب كلها على محور واحد قبالة الباب الخارجي للمعبد .

وقد عثر المنقبون على سلم الصومعة ، وعلى جانبيه على اسدين من الفخار (حالياً في المتحف العراقي) كما عثر المنقبون ايضاً على بقايا اسود فخارية من هذا النوع في معبد تل محمد القريب من بغداد الجديدة ، وتلوط حطاب قرب خان بني سعد ايضاً ، الا انها غير كاملة كما هو الحال في اسود تل حرمل .

وهناك صومعة مزدوجة اخرى اقل عرضاً من الصومعة الرئيسة تفتتح على الساحة بباب مدرج الحافات ومن غير ابراج في زاوية الساحة ، على يمين مدخل الصومعة الرئيسة^(٥٥).

امتازت مدينة تل حرمل ببيوتها المختلفة التخطيط وحسب المساحة المتاحة لكل بيت ، والنموذج الامثل و البيت الذي يقع جنوب الزقاق الفاصل بينه وبين المعبد الكبير آنف الذكر ، وهو بيت محاط بساحات وازقة من كل الجهات ، وله ثمانية مداخل تمر كلها عبر غرفة مجاز تفتتح على ساحة وسطية ، ولذا وبالرغم من النظام الجيد والمنتظم في توزيع الغرف حول الساحة ، والشكل المربع المخطط

عموماً فإنه بالامكان القول بان هذا البيت لم يحتوي على غرفة خاصة واحدة ، وان كان على عبارة عن مجمع بـ (٢٢) غرفة تستخدم للاغراض العامة ، وانه ذو اهمية اجتماعية ولا شك ، لانه يقع بمحاذاة المعبد ومستقلاً عن كل البيوت الاخرى .

اما اسوار المدينة ، فانها امتازت بابراجها التي يبلغ عرض الواحدة منها حوالي ٦ امتار ، والتي تبرز من اسوار يبلغ ثخنها حوالي ٥ امتار تاركة بين برج واخر دخلة جدارية بنفس عرض البرج تقريباً .

وقد دعم مدخل بوابة السور ببرجين يزيدان من متانة الجدار في هذه المنطقة ، الا انها لا تزيد على سمك الطلعات الاخرى حول السور ، ولقد حاول سكان تل حرمل تحصين فتحة البوابة من داخل السور باضافة جدران ثانوية تضيق الشارع خلف البوابة وترتبط بها غرف حراسة ، الا انها لم تكن في اصل مخطط السور^(٥٧).

٥. تل اجرب (او عقرب)

يقع هذا الموضع الاثري على بعد ١٥ ميلاً شمال شرقي تل اسمر ، ولا يعلم اسمه القديم ، كما ان التحريات لم تكن كاملة (١٩٣٦-١٩٣٧) وأهم ما كشف عنه في الموضع المعبد الذي خصص لعبادة الاله (شارا Shara) كما تدل على ذلك الكتابة المنقوشة على اناء من الحجر وجد في المعبد من عصر فجر السلالات الثالث.

ومع ان التحريات في هذا المعبد لم تكن كاملة ، بيد ان المنقبين استطاعوا ان يتتبعوا مخططه من طور عصر فجر السلالات الثاني والثالث ، فوجد انه يحيط به جدار خارجي ضخ سمكه ٥,٥٠ متر ، وتتخلله الطلعات والدخلات المميزة لجدران المعابد الخارجية منذ اول ظهور المعابد في حضارة وادي الرافدين^(٥٨).

اهم المواضع الاثرية في اقليم ديالى^(٥٩)

تل الكاور - تل إسماعيل - تل الرحي - تل سليمان الصغير - آق تبة -
 تل نبي إسماعيل - تل شهاب - تل منيثر - تل البخرية - تل الحفاير - تل
 الوشاع - تل عبارة خيط هواس - تل شوكارين - تل غاسلجي - تل يهودي - تل
 خنجر - تل جعارة - تل بلغاش - تل ابو حرمل - تل نزرعيديك - تل امام شيخ
 جابر - بنت الامير - اسكي بغداد (دسكرة) - زندان - تل عبارة - الصبيحي
 الصغير - تل منداق - تل ابون قبور (ابو كبور) - تل ام عياش - تل محاولي
 - تل ابو حلاوة - تل الضباع - كاراستيل (ارتميتا القديمة) - تل ابو بصل - تل
 مجليبة - تل احمر - تل حور - امام ابو ادريس - تل ابو صخول - تل ابو
 هلال - امام شيخ تميم - تل شجير - تل عضوه - او راسين - تل ابو اجماله - تل
 ابو ثلابيخ = تل سعد - تل ابليل - تل الجفحاف - تل الشطيظ - تل الديبة -
 تل ابو فياض تل ابو حسن - تل ابو خزف - ابو عقليين - تل ابو جاون - تل
 الدوية - تل ابو تبين - تل لموم - ابو مجارش - تل الحلفايا - تل الشمالسية -
 بيرعون - تل مصبغة - تل عزيز حسنة - تل صالح - فريجي - ابو برباخ - ابو
 ثعلب - تل امام الابيض - بدير - العجير (عكير) = حاجي بيض - بهرزايي -
 تل طويم - تل ابو دراغ - تل شيليف - تل خرکوشات - تل اسود - تل كرجيشاه
 - ابو سدره - مرجانيات - تل مجيد - تل ابو خنازير - تل صخر - تل حليب -
 ضليع - تلون خطاب - تل عطش - تل حلاوة - تل ذهب - تل الباغي - تل
 الطيان - تل المدار - تل الزعيتير - تل محيسن - تل اسمر (اشنونا القديمة) -
 تل املاح - تل الون - تل ابو جعري - امام حميد - تلون دربانجي - علاوي
 الحومر - تل سبع - تل ام جرن - تلون ضباع - تل ابو جيت - تل جرجور - تل
 زنجاليك - تل الديمي - تيمر - تل ابو مشمش - تل ابو سمادة - تل ابو رخان -
 تل ابو ضباع تل ملداية - تل منيصيف - تل اشيري (وكان يسمى سابقاً بتل
 صفوة) = اما ابو عروج - تل مياح الصغير - تل مياح الكبير - تل المجردم -
 تل ام الطارش - علاوي بسمار - تل جمعة - تل حويش - مويل - تل ابو صخير
 - تلون شليبات - تل سليمة - تلون رغاث - تلون راد - تل مخيريچ - ابو زنبيل -

تل ابو ضبيع - تل العريض - تل ابو يوالك - تل اما بجلي - تل ابو سجلة (سيلة)
 (تل المدخر - تل فضيلية - تل حرمل (شادويم) تل محمد - خفاجي (توتب
 القديمة) - ابو جالي - اشجالي - (نيربتم القديمة) - تل التويم - ابو عبدة - تل
 ابراز - تل مدار حمود - تلول مدر محيسن - تل درر داعود - تل ابو خنيزيرة -
 تل بيرزنبور - علوة حسيجة - علوة الحمرة - تل ابو طيور - تل ابو جيت - علوة
 حامي - ابو جليج - تل جفوف - علوة البدعية - تل جعرة - تل عقرب (اجر ب)
 تل ابو كبير - تل عليوات اليتامي - تل العيد - تل ديمات العودة - تل امحمود -
 تل الرشاد - تل ختلة - تل رشيد - تل حمان - بسماية - تلول ابو ثيلة - تل
 سريج - تل الجرزية - تل الجلاب - تل جببية - تل مدر السلامة - تل مويلح -
 تلول مجيلع - تلول ابو الشوك - ابو ييسة - ابو جاون - تلول مدر البعير - تلول
 مدر رميلي - ابو شوكة - تل ابو فهادة - تل ابو دال - عبرتا - تل جولات عزيز
 - تل طبل - خشم الواوي - ابو جزرات - تل جبيل - ابو ترجية - تل زهرة (مدينة)
 تل مرهج - مزور رحيمة (مزيرير) تل المجصص - تل ام قلاخانة -
 تل ضلاع - تل محيشيش - تلول باوي - سلمان باك (طيسفون) تلول المجدادي
 - تل ابو شبيبة - تل حميدات حسين - تل ام منجل - تل ابو خنصرة - تل
 شعلان - تل معبود - القنطرة - تل شاهين = ام ظفريه - سماكة (اسكاف بني
 الجنيد القديمة) - تل الخارم - تل معلام بروي - تل جريات - تل المكرم - تل
 الدير (دير العاقول القديم) حمدت شهرزاد - تل اللامي - تلول اللواحي - تلول
 الشعيلة - تل الميج - تل ابو دبس - تل ابو طيور - تل قماز - تل ابو غريب -
 تل المعلام - تل نزوز - تل الصوان - تل الخربة - الضلوعية .

المراجع

١. ادمز ، روبرت ماك ، اطراف بغداد او تاريخ الاستيطان في سهول ديالى ، ترجمة صالح احمد العلي واخرون ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٤.
٢. اوبنهايم ، ليو ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، بغداد ، ١٩٨١.
٣. بوترو ، جين واخرون ، الشرق الادنى والحضارات المبكرة ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٨٦.
٤. رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، بغداد ، ١٩٨٤.
٥. طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٧٣.
٦. مؤيد سعيد ، العراق في التاريخ ، ط ، بغداد ، وزارة الثقافة .
٧. هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، بغداد ، ١٩٧٨.

الهوامش

- (١) آدمز ، الاستيطان في سهول ديالى ص ١١٤.
- (٢) المصدر السابق ، ص ١١٦-١١٧.
- (٣) المصدر السابق ، ص ١١٢-١٢٣.
- (٤) المصدر السابق ، ص ١٢٧.
- (٥) بوترو : الشرق الادنى ، ص ٥٢-٥٣.
- (٦) آدمز ، الاستيطان في سهول ديالى ، ص ١٢٩.
- (٧) بوترو ، الشرق الادنى ، ص ٧٢.
- (٨) آدمز ، الاستيطان في سهول ديالى ، ص ١٣٥.
- (٩) المصدر السابق ، ص ١٤١-١٤٢.
- (١٠) المصدر السابق ، ص ١٤٤-١٤٥.
- (١١) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

- (١٢) المصدر السابق ، ص ١٥١.
- (١٣) المصدر السابق ، ص ١٥٣-١٥٤.
- (١٤) المصدر السابق ، ص ١٥٥.
- (١٥) المصدر السابق ، ص ١٦٩.
- (١٦) المصدر السابق ، ص ١٨٧.
- (١٧) المصدر السابق ، ص ١٩٨-٢٠٢.
- (١٨) المصدر السابق ، ص ٢٠٣-٢٠٥.
- (١٩) المصدر السابق ، ص ٢١٨.
- (٢٠) طه باقر ، مقدمة في حضارة وادي الرافدين ، ج ١ ، ٤١٤.
- (٢١) المصدر السابق ، ص ٤١٤-٤١٥ ، وانظر كذلك جورج رو ، العراق القديم ، ص ٢٥٤.
- (٢٢) بوترو ، الشرق الادنى ، ص ١٩١.
- (٢٣) ليو اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٤٨٨.
- (٢٤) هاري ساكرز ، عظمة بابل ، ص ٢٢٤.
- (٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٣١.
- (٢٦) طه باقر ، مقدمة ، ص ٤١٥-٤١٦.
- (٢٧) اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٤٨٨.
- (٢٨) طه باقر ، مقدمة ، ص ٤١٧ ، جورج رو ، العراق القديم ، ص ٢٥٣.
- (٢٩) بوترو ، الشرق الادنى ، ١٦٢.
- (٣٠) طه باقر ، مقدمة ، ص ٤١٧.
- (٣١) جورج رو ، العراق القديم ، ص ٢٥٤.
- (٣٢) طه باقر ، مقدمة ، ص ٤١٧-٤١٨.
- (٣٣) بوترو ، الشرق الادنى ، ص ١٩٤.
- (٣٤) طه باقر ، مقدمة ، ص ٤١٨ ، بوترو ، ص ١٩٤.
- (٣٥) هاري ساكرز ، عظمة بابل ، ص ٨٧.
- (٣٦) طه باقر ، مقدمة ، ص ٤١٨.

- (٣٧) بوترو ، الشرق الادنى ، ١٩٤ .
- (٣٨) طه باقر ، مقدمة ، ٤٢٠ .
- (٣٩) آدمز ، الاستيطان في سهول ديالى ، ص ١٦٩ .
- (٤٠) المصدر السابق ، ص ١٦٩-١٧٠ .
- (٤١) جورج رو ، العراق القديم ، ص ١٨٣ .
- (٤٢) بوترو ، الشرق الادنى ، ص ٧٤ .
- (٤٣) جورج رو ، العراق القديم ، ص ١٨٣ .
- (٤٤) بوترو ، ص ٧٣-٧٤ .
- (٤٥) طه باقر ، مقدمة ، ص ٢٦٦ .
- (٤٦) المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .
- (٤٧) مؤيد سعيد ، العراق في التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .
- (٤٨) طه باقر ، مقدمة ، ص ٢٦٣ .
- (٤٩) المصدر السابق ، ص ٢٦٤-٢٦٥ .
- (٥٠) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .
- (٥١) مؤيد سعيد ، العراق في التاريخ ، ج ٣ ، ص ١١٦ .
- (٥٢) طه باقر ، مقدمة ، ص ٢٦٦ .
- (٥٣) مؤيد سعيد ، العراق في التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٤٢-١٤٣ .
- (٥٤) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .
- (٥٥) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٤-١٤٥ .
- (٥٦) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .
- (٥٧) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٨-٣٣٩ .
- (٥٨) طه باقر ، مقدمة ، ص ٢٢٦-٢٦٧ .
- (٥٩) آدمز ، تاريخ الاستيطان ، ص ٤١٩-٥٤٣ .